

فلسفة الفعل مفهومها وتطورها

الأستاذ: لصفر محمد¹

¹ جامعة تيبازة- الجزائر.

Lasfar16mouhamed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/26 تاريخ القبول: 2021/11/01 تاريخ النشر: 2021/12/04

الملخص:

نتناول في هذه الورقة البحثية بالتحليل معنى فلسفة الفعل، فإذا كان مدلول هذه الفلسفة مرتبط بمختلف تيارات الفكر الفلسفي القديم والحديث فان ضرورة التسمية تفرض تحليل معناها من خلال شبكة المفاهيم المتعلقة بها كالفعل....ولان الدراسة الموضوعية لدلالة المصطلح تقتضي بالضرورة تتبع مساره في الفكر الإنساني بغية تأصيله، فان البحث قادنا إلى تتبع المسار التطوري لهذه الفلسفة من الفلسفة اليونانية القديمة إلى الفكر الفلسفي المعاصر بشقيه الغربي والعربي.

المصطلحات المفتاحية: فلسفة الفعل- الفكر الغربي- الفكر الاسلامي-الفلسفة المعاصرة

In this research paper, we analyze the meaning of verb philosophy. If the meaning of this philosophy is related to various currents of ancient and modern philosophical thought, then the necessity of naming imposes an analysis of its meaning through the network of concepts related to it, such as the verb.

And because the objective study of the significance of the term necessarily necessitates tracing its path in human thought in order to root it, the research led us to trace the evolutionary path

of this philosophy from ancient Greek philosophy to contemporary philosophical thought, both Western and Arab..

المؤلف المرسل: لصفر محمد

1- تمهيد:

إن فهم اي فلسفة مهما بلغت درجة حدتها وحدثتها لا يتم إلى من خلال التنقيب عن أصولها، أولاً بالأحرى من خلال دراسة تاريخها كما عبر عن ذلك أوغست كونت، ولأن المسار التطوري للفلسفة يؤكد تأثير اللاحق بالسابق وهو جوهر العمل الفلسفي مما يدفعنا عن البحث عن نشأة فلسفة الفعل في الفكر القديم وهل يمكن أن نجد مكاناً لهذه الفلسفة في الفكر اليوناني والإسلامي؟ إن لإجابة عن هذا التساؤل تقتضي بالضرورة تتبع مسارها في الفلسفة اليونانية أولاً عن سقراط وأرسطو، وفي الفكر الإسلامي عند أبو الحيان التوحيدي الفرابي - ابن مسكويه/ كيف يمكن استقراء مفهوم الفعل في الفكر اليوناني والإسلامي؟

2- في مفهوم ودلالة المصطلح "فلسفة الفعل"

مما لا شك فيه أنّ البحث عن دلالات فلسفة الفعل يشكل خطوة لفهم تطور هذه الفلسفة بعمق في الفكر الفلسفي ذاته في بلورة الحقيقة كما تصورها الفلاسفة من الفترة اليونانية "سقراط - أفلاطون" إلى الفترة المعاصرة مروراً بالفكر الوسطي الإسلامي المسيحي، ولأن دلالة المصطلح تفرض بالضرورة التقاطع والتداخل بين مصطلحات تعد ضرورية وأساسية لفهم هذه الفلسفة كان لزاماً علينا ضبطها وكبيان ماهيتها وأهميتها، فما معنى إذن فلسفة الفعل؟ فما هي إذن شبكة المفاهيم التي ترتبط بفلسفة الفعل؟

1.2 مفهوم فلسفة الفعل

إن كانت الدلالة المفهومية لمصطلح "فلسفة تكشف عن ثنائية متقابلة متميزة بين مفهومين مختلفين على اعتبار أن مصطلح: "فلسفة" متعلق بالفكر بينما مصطلح الفعل ولهذا فإن أزمة المصطلح في الظاهر تلغي التجانس بينهما بينما في الحقيقة يظل التداخل بين المفهومين ضروري دون الحديث عن أسبقية الفكر عن الفعل الذي يحقق التجسد في الواقع، ولهذا فلا مجال للتأكيد بأسبقية الفعل عن الفكر كما هو متناغم مع الفلسفة المادية، أو بأسبقية الفكر عن الفعل كما هو الحال في الفلسفات المثالية وقد لخص العيادي مفهوم الفعل في كتابه: "فلسفة الفعل بقوله: "إن فلسفة الفعل التي نعني هي صيغة الفكر التي تستجمع صيغة الوجود التامة لكيان الانسان في العالم بقدرتها على التنقل في مسافة التعاكس التكويني بين صعيدي النظر والعمل" (العيادي.2007.ص 09) وانطاقا من ذلك فإن فلسفة الفعل هي فلسفة عامة يمكن أن تشمل "فلسفة السياسة الأخلاق" "الإقتصاد" ذلك لأنه الدعوة هنا يجب أن تكون صريحة في التأكيد على إنخراط نظرة الفكر الذي هو منه صميم: "التفلسف" وجوهره في الفعل وتصبح فلسفة الفعل بمقتضى ذلك: "نشاط إجرائي" على حد تعبير العيادي وإذا كان التداخل في المصطلح يفرض تحديد ماهية الفعل-فما المقصود بالفعل؟ وبماذا يتميز الفعل عن الانفعال والإرادة والانشغال؟ على حد تعبير أرسطو يقابل الاسم، "على اعتبار أن الأسماء والكلم أنفسها تشبه المعقول من غير تركيب أول تفعيل (أرسطو.العبارة.ص 102) وعليه فإن الخصوصية في اللسان العربي تفرض وجود دلالتين متميزتين ترتبط الأولى بالسياق اللغوي أما الثانية فهي بالسياق الاصطلاحي.

وذلك في سياق الحديث عن الكلمة في معنى الفعل تشير الدلالة لإصطلاحية لمعنى الفعل تعريفات متعددة فإذا كان الكلم متعلقة بالسياق

الأستاذ: لصفر محمد

الاحداثي وانطلاقاً من ذلك فإن الفعل يدل من الناحية اللغوية على اللفظ الذي يدل على المعنى وعلى زمانه أي على جملة التحويلات والتغيرات التي تطرأ على الكلمة وهو ما أشار إليه أرسطو في سياق حديثه عن "القول والفكر والكلمة" وفي كتاب: "العبارة" إذ يقول في ذلك: "... لكنه ليس هو بعد حقًا ولا كذبًا ما لم يستثني معه بوجود أو غير وجود مطلقًا أو في زمان" (ارسطو.مرجع سابق.ص101) ومن الناحية الاصطلاحية فالفعل دال على الإحداث الصادر عن حركة الإنسان كناية عن كل عمل منفذ، ويمكن تقويم هذا الأثر الصادر وفق ثنائية "الصدق - الكذب" "الحسن - القبح"، ويمكن الفعل أن يحمل معاني متعددة حسب السياق فقد يشير إلى: الكلام - العلم، الإحداث الإيجاب. (العيادي.مرجع سابق.ص15)

وإذا كان الطابق الاصطلاحي لمعني الفعل يشير إلى تعقد المفاهيم فإن تحديد هذه الخصائص تؤكد الوقوف المميزات التي تجعل من كل فعل وظيفة من وجهة نظر الذات والتي لحقها عزت القرني في كتابه الذات والفعل فيما يلي (القرني. الذات ونظرية الفعل.2001.ص162)

- 1- الفعل في النهاية هو إتصال بالعالم والآخرين على نحو معين.
- 2- هو إعادة تنظيم البيئة.
- 3- هو من أوجه إعداد الذات لمجابهة العالم والآخرين.
- 4- هو أحداث تأثير إيجابي مقصود في شيء أو موقف أو في البيئة وتعميمها.
- 5- هو تحرك قصدي.
- 6- هو القيام بعمليات معينة على نحو معين.
- 7- هو أداء محدد له زمن.
- 8- هو إحداث أمر ذي معنى.

فلسفة الفعل مفهومها وتطورها

9- هو إحداث تغيير مقصود في الوسط المحيط.

10- هو الفعل مقصود الذات والأشياء.

إن هذه التعاريف المتعددة وتؤكد في مجملها على إختلافها وتميزها، على اعتبار أنّ هناك تعاريف أكثر عمومية وشمولية إلّا أنها تشترك في كونها تطرق إلى خاصيتين أساسيتين للفعل: "إحداث"- "تأثير" لتنتقل بعدها إلى إعتبار صلة الفعل بالعمل والسلوك والنشاط ومن خلال ذلك يمكننا أن نتساءل عن ماهي الخصائص الجوهرية للفعل؟

2.2 الخصائص الجوهرية للفعل: من خلال التحليل السابق يتضح أن الفعل ينفرد بمجموعة من الخصائص الجوهرية يلخصها القرني بإرجاعها إلى ثلاث بؤر رئيسية، تتعلق الأولى بالحركة الجسمية والتي ترتبط بالفعل من حيث طبيعته الداخلية الحميمية، وبؤرة الفاعل أو المشيئة وهي التي تتصل بالفعل من حيث سببيته وهدفه ونوع المسؤولية عنه، وأخيرًا بؤرة "الأثر الخارجي أو الظاهر وإن اعتبرنا أنّ الأثر خارج عن الفعل في حد ذاته إلا أنّه لكنه نشاط ضروري فالنشاط مهما كان نوع هو فعل بالمعنى لإصطلاح، ومن جملة الخصائص السابقة ترتبط مفاهيم مركزية فمثلا: ففي حالة الحركة الجسمية "فإن النشاط الإنساني لا يمكن أن يقوم خارج الأشكال الأربعة:

- الان داخلية تتعلق بجملة العوامل النفسية والعقلية: الشعور- الإدراك - الإنفعال- التفكير.... الخ.
- تحركات جسمية ظاهرة عرضية أو عارضة.
- التعبير عن معاني بعينها.
- الفعل بالمعنى الدقيق.

بعد هذا العرض التحليلي الذي قدمناه حول الخصائص التي ينفرد بها الفعل على سبيل الحصر يتضح أن الفعل يختلف عن مختلف المفاهيم الأخرى

كالإرادة. (العيادي، مرجع سابق، ص102) الإنفعال- السياسة - الدين -
الإرتكاس- التشاؤم -الدزاین إن تحديد هذه المفاهيم الأخيرة متعلق بتطور
الفلسفات عبر الأزمنة، فكيف تطورت فلسفة الفعل تاريخيا؟ وكيف إنعكس
وجودها في كل نسق فلسفي؟.

3. مسار فلسفة الفعل في الفلسفة اليونانية والاسلامية

1.3 مسار مفهوم الفعل في الفلسفة اليونانية: إن تتبع الإرهاصات الأولى لفلسفة
الفعل إذا تتبعنا المسار التاريخي لهذه الفلسفة في الفكر اليوناني إلى اللحظة التي
أعلن فيها سقراط ثورته اللامحدودة ضد الأفكار التي ولجت المجتمع اليوناني
والأخص من المصادر السوفسطائية، ويبدو أنّ هذه اللحظة عكست الرغبة في
التغيير وهوة ما يظهر في مختلف التصرفات اليومية التي إقترنت بتعلم الشباب
وتدريهم على الفضيلة وعلى مختلف صنوف المعرفة، إن توسيع دائرة الممارسة
يمكن أن لا تطال: الصداقة - الروح - الكلام من خلال المنهج العام الذي إتبعه
سقراط "التوليد - التهكم".." فقد كان يعالج الروح بواسطة الكلام"، وقد تشكل
هذا الفعل في الفلسفة نقطة تحول في تاريخ الفكر اليوناني في حد ذاته ما دام أنّ
موت سقراط بحجة إهانة الآلهة ومعاداة المجتمع، شكل حافزاً مباشراً إعتمدت
عليه الفلسفات اللاحقة وبالأخص عند أفلاطون فكانت كتابة الخطاب السقراطي
في صحائف التاريخ هيئة وهو ما تجلى في المحاورات التي كانت دائماً على لسان
سقراط في نظريته لمعنى الفضيلة....إلخ. وبعد أرسطو من بعد أفلاطون الباعث
الحقيقي للتفلسف على اعتبار أنّ تصنيف النصوص عنده يشير إلى أنّه فروع
المعرفة اعتبارها علومًا. وأنّ الأفضل إعتبارها منظمة التعليم مكتمل وليست
سجلات الأبحاث تجريبية، وإنطلاقاً من ذلك فإن العلوم حسب التصنيف الأرسطو
تتفرع إلى

فلسفة الفعل مفهومها وتطورها

ثلاثة فروع أساسية منها ما هو نظري ومنها ما هو عملي وفعلي، فالعلم النظري يسعى إلى المعرفة من أجل المعرفة، أما العملي فيهتم بالأداء وجودة العلم على الصعيدين الفردي والجماعي والفعلي هو يهدف إلى خلق أشياء جميلة ومفيدة، وكتحليل أولي لهذه الفلسفة فإن الملاحظة العاملة تؤكد أن فلسفة الفعل لم تكن غائبة في الفكر الأرسطي وعلي هذا الأساس فالفعل عنده قد يكون فعلاً إرادياً أو فعلاً لا إرادياً أن التركيز على الفلسفة الأربطة وتوجهات سقراط الفلسفية لا يعني بالضرورة إقصاء للمدارس اليونانية المتقدمة في كاليثاغورية والرواقية، وما دام أنّ ذلك يمثل لبنة أساسية لتقدم هذا الفكر.

وفي الفكر الإسلامي فإن معنى الفعل كان ثابتاً عند الفلاسفة كالكندي الغرابي- ابن سينا - ابن رشد ... الخ، وهو ما يظهر جلياً من خلال المجال الفكري والبحث المستمد في قضايا العقيدة والذي ومدى مطابقة الطروحات الفلسفية لها شملت: إثبات وجود الله - مصير الأرواح - النفس - وإعتبروا أنّ الفعل الفكري هو أصدق ما يمكن أن يعطي للحقيقة معناها ومفهومها وانطلاقاً من هذا التأسيس فقد وضع ابن باجة الفعل في رتبة الفصل النوعي وهو ما يستنتج من قوله عند تعريفه للإنسان: ".... يمتاز عن جميع هذه الأصناف بالقوة الفكرية وما لا يكون إلّا بها". (ابن باجة، تدير المتوحد. 2009. ص25) وإذا كان وصف الإنسان بأنه الفاعل فإن للفعل عنده يتحقق بوجود شروط محددة يربط فيها بين الفعل الإنسان الذي هو في النهاية فعل إختيار- والإرادة باعتبار أنّ إرادة الاختيار هي حالة ثابتة نستنتج مصداقيتها في الفعل.

ومن جانب آخر فقد بحث ابن مسكويه في كتابه: "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعرف" مسألة الفعل الإنساني باعتبار أنّ ذلك سوف يحقق سعادة الإنسان.

*"فالأساسي في الفعل، عند أرسطو ليس هو ما يوصل إليه الفعل، بل هو الفعل ذاته الذي هو لذاته غاية ذاته، أما خصائصه والتي كثيرًا ما لا نتحكم بها، فإنها لا تمنعنا من الفعل بقدر ما تدفعنا إلى أن تفعل على أفضل وجه ممكن..."

فإذا كان العقل هو ما يميز الإنسان فإن السعادة هنا تتحقق بصدور أفعاله عند ذلك بحسب ما يميزه وبالتالي يختاره، وإنطلاقًا من ذلك يعتمد إلى تأسيس الفكر الأخلاقي عنده على العقل لا غير، على اعتبار أن ربط العقل بالاخلاق يميز بالضرورة الفعل والسلوك الراشد عند السلوك الجماني، الذي هو غير مهذب على حد تعبيره.

وخلاصة القول أن فلسفة الفعل كانت حاضرة في الفلسفة اليونانية والإسلامية، وبالتالي يمكن القول بأنه فلسفة الفعل ترجع أصولها التأسيسية إلى الفلسفة اليونانية.

2.3 فلسفة الفعل في الفكر المعاصر إن تتبع مسار الفعل في الفكر المعاصر يقتضي من الناحية التاريخية البحث عن العلاقة بين الفعل والمنهج من خلال المرور بفلسفة هيغل - هيدغر - برغسون - ريكور - دولوز - هابرماس... على اعتبار أن تنامي مفهوم الفعل في هذه الفلسفات أعطى مؤشرا قويا لإعطاء تصور جديد لفلسفة الفعل وانطلاقا من هذا التحديد يمكن أن نتساءل ما هو مستوى الحضور لمعنى الفعل في الفكر الغربي ؟ وهل قدمت الفلسفة المعاصرة تصورا جديدا بعيدا عن التصورات التقليدية ؟ وسنكتفي بالإجابة عن الأسئلة السابقة بتتبع مسار هذه الفلسفة في فلسفة بول ريكور وهيدغر

1.2.3 هيدغر: يعتبر كتابة هيدغر الوجود والزمان اللحظة الحاسمة التي ارتكزت عليها الفلسفة الوجودية والتي يمكن أن نستقصي منها مفهوم الفعل مادام أن الفعل الإنساني يرتبط من هذه الناحية بالوجود "الكائن هاهنا أو الديزاين ويبدو أن لغة نيتشه حول الإنسان المتعالي والانقلاب الصريح عن القيم التي كانت تمثل

فلسفة الفعل مفهومها وتطورها

الفعل قد وجدت طريقا في المتن الهيدغري الذي توج في النهاية بتوجه صارم نحو الاشتغال على مفهوم الفعل المنغلق بالدزائن او الكائن هاهنا في هذا العالم يقول فتحي المسيكياني معلقا على ذلك: لماذا لم يبدأ هيدغر في تحليلاته بالأنا او الذات وليس العالم؟ لان الدزائن لا يفهم نفسه في غالب الأحيان انطلاقا من نفسه بل انطلاقا من العالم الذي ينشغل به فهو في أول أمره صانع في ذلك العالم ومنهمك فيه ثمة فالمطلوب من اجل النهوض بالسؤال ومن يكون ؟ هو انه يعاود استملاك نفسه وتحريرها مما هو غريب منها (ربوح) (بشير). فلسفة الفعل مدخل معرفي وتقص مفهومه. (2019.ص13)

وانطلاقا من ذلك فهذه الكونية ترتبط بالبعد الانطولوجي هو بعد الزمان أو الاستباق لكي يرتقي إلى مستوى الكينونة الأصلية ويبدو أن هيدغر استثنى متنه الفلسفي مفهوم الفعل وهذا نظرا لكون الدزائن من حيث هو عزم إنما هو عزم إنما هو يفعل بعد وقد نتحاشى مصطلح الفعل عن قصد.

2.2.3 بول ريكور: يعد بول ريكور الفيلسوف الفرنسي 1913-2005 من الفلاسفة المعاصرين الذين اهتم بمسألة الفعل في الفكر الغربي المعاصر وهو ما يتضح من خلال كتابه فلسفة الإرادة الذي يعد مدخلا ضروريا لفلسفة الفعل وتنظيرا أساسيا لها وانطلاقا من مشروع ريكور الانتروبولوجية فان الفعل الإنساني عنده يتخذ ثلاثة مراحل أساسية:

ا- الفعل كتحفيز

ب- الفعل كرضا

ج- الفعل كمشروع

وعلى خلاف الفلسفات السابقة فان حديثا عن الفعل وجب أن يستثنى حسب ريكور التسليم التقليدي الذي يجمع الفعل بالفكر على اعتبار انه وسع الاهتمام بالنقيض الفعل اللارادي وقد بين ريكور انه البحث عن الفعل يجب انه

يشمل التفسير الديني انطلاقاً من تساؤله الدائم والامشروط عن الأفعال السيئة التي تجلب للإنسان مشكلة الشر باحثاً عن أسبابها ودوافعها وعن أصولها اتفق ريكور مع فرويد برد الفعل إلى دوافع لاشعورية وهو ما يظهره كتابه التأويل محاولة حول فرويد على الرغم من معارضة لبعض الأفكار المتعلقة باللاشعور " وهكذا تخضع أفعال الإنسان لنوعين من التأويل تأويل استرجاعي ايكولوجي يرجعها إلى دوافع لاشعورية مضمرة يجب الكشف عنها وتأويل قصدي نيولوجي يقرأ مقاصدها (عقبي(لزهر). مجلة علوم الإنسان والمجتمع. العدد 8. 2013. ص 433) كخلاصة يمكن القول بأن المقاربة السابقة تتضمن اختياراً موجهاً وذلك للاقترب من فلسفة الفعل على الرغم من أنه مسار هذه الفلسفة هو متلاحق فلا يمكن فصل فلسفة هيدغر عن نيتشه بل مفهوم الفعل هو امتداد تطوري لهذه الفلسفة.

3.3 فلسفة الفعل في الفكر العربي المعاصر: لا يمكن أن نستثني دور الفلسفة العربية المعاصرة ونحن في صدد الحديث عن فلسفة الفعل. على اعتبار أن القضايا التي عالجتها وانشغل بها المفكرون العرب تتعلق بقضايا التراث والحداثة. ولعل أهم حدث هو النهضة العربية. ومن الثابت أن جملة المفكرين أرادوا الإجابة عن الإشكالية التي مادها- لماذا تطور غيرنا وتخلفنا نحن؟

إن طرح هذا التساؤل والإجابة عنه تفرض على المفكر التركيز على علاقة السؤال بالواقع العربي، وقد كشف لنا تحليل وتأويل هذه الفلسفة حقيقة الترابط بين معنى الفعل والحقيقة في الفلسفة العربية-فما الذي يثبت حضور فلسفة الفعل في الفكر العربي الإسلامي؟

لقد كشف لنا تحليل بنية الفكر العربي المعاصر إدراك أن هذا الفكر موجه إلى بنيته الداخلية. مما يدل على أن هذه الفلسفة تعاني مشاكلها وتحاول إيجاد

فلسفة الفعل مفهومها وتطورها

الطريق والحل المناسب لما يعترضها من عقبات مثل مشكلة التخلف بالمقارنة مع الغرب. تطبيق الديمقراطية- قضايا الدين والدولة.

إن مقابلة الواقع المتخلف بما توصل إليه الغرب وقد انساق المفكرين العرب إلى محاولة نقد هذا الواقع بغية إصلاحه بتناول قضايا هي من صميم ما يعيشه الإنسان على الرغم من اختلاف توجهاتهم وتعدد مشاربهم ، وهو ما يظهر في أعمال زكي نجيب محمود حسن حنفي – الشبلي الشميل

أن دلالة الفعل في الفلسفة العربية يضمنها الوعي اللامشروط بخصائص الفعل بالرجوع إلى وعي الحياة العملية. ويمكن أن نلمس هذا الرجوع عند المفكر ناصيف نصار الذي حاول أن يبني موقفه على مقولة الفعل على الرغم من عدم وضوح طبيعته وطبيعة المشكلات التي يواجهها، وقد اعتقد ان مقولة الفعل هي مرادفة للوجود التاريخي اذ يقول:

"مقولة الفعل او مقولة الوجود التاريخي. لكن الفلسفة الحديثة تفرق بينهما تفريقا شاسعا (عقبي) (لزهر). دلالة الفعل في الفلسفة العربية. مجلة علم الانسان. العدد8. 2013. ص435

4.الخاتمة: ومنه يمكن أن نجيب عن التساؤلات السابقة من خلال التحليل المعمق لتيارات الفكر الفلسفي هو ان فلسفة الفعل لها وجود حقيقي في الفكر الفلسفي الإنساني منذ اللحظة الأولى التي ظهرت فيها الفلسفة ولعل ما يبرز هذا التداخل هو أن النقطة التي ارتكز عليها الفكر الفلسفي تتمثل في حقيقة اعتبار الفعل الإنساني كجزء حقيقي للبحث الفلسفي بل هو المرمى الذي ينبغي أن يشملته أي بحث.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) العيادي (عبد العزيز) فلسفة الفعل، مكتبة علاء الدين صفاقس 2007، ص09.
- (2) أرسطو (طاليس) العبارة، منطق أرسطو: تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت لبنان)، ط1، 1980، ص102.
- (3) القرني(عزت) الذات ونظرية الفعل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، 2001، ص162.
- (4) ابن باجة، تدبير المتوحد، تنسيق سامي بن أحمد، دار للنشر، تونس2009، ص25 فلسفة الفعل إشكال فلسفي بأفق تأسيسي (بشير ربوح)- 2016، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية.
- (5)-ربوح(بشير). فلسفة الفعل مدخل معرفي وتقص مفهومي. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. العدد4-المجلد1-2019ص13.
- (6)-عقبي(لزهر). دلالة الفعل في الفلسفة العربية. مجلة علم الانسان. العدد8. 2013. ص435